المبحث التاسع

نفع الناس بمواساتهم وإعانتهم في أمراضهم

إن الإسلام يحثنا على أن ننظر إلى المريض نظرة رفق ورحمة ، ويحثنا على عونه ومواساته في مرضه ، لأن هذا يكون له أثر طيب في رفع معنوياته في الوقت الذي يشعر أنه كالجواد الذي كبا ، يتطلع إلى من يأخذ بيده لينهض .

وقد حث الإسلام على عيادة المريض ، وبيَّن عِظَم ثوابها ، ففي كثير من حديث النبي ﷺ يأمر بهذا .

❁ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عودوا المريض وأطعموا الجائع ، وفكوا العاني** » (١) .

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من عاد مريضًا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً** » (٢) .

❁ ويبيِّن أن عيادة المريض هي بمثابة زيارة لله ـ عز وجل ـ فيقول كما في الحديث القدسي : « **يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة : يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني ! ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ ، قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ ، أما علمت أنك لو عُدْته لوجدتني عنده ؟** » (٣) .

وأمر كذلك بمحاولة تقديم العون والنفع والمساعدة للمريض بقدر المستطاع ، بالدعاء له ، فقد كان النبي ﷺ إذا عاد مريضًا دعا له .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : دخل النبي ﷺ على أعرابي يعوده ، وكان إذا دخل

---

(١) البخاري برقم (٥٦٤٩) ك المرضى .

(٢) صحيح المتجر الرابح (٨٩٧) وقال : رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٣) مسلم برقم (٤٣) في البر والصلة .

على من يعوده قال : « **لا بأس طهور إن شاء الله** » (١) .

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ قال : « **من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض** » (٢) .

وذات يوم كان الصحابة جلوسًا عند النبي ﷺ فلُدِغ رجلٌ بعقرب ، فقال رجل من الجلوس أرقيه يا رسول الله ؟ ، يستأذنه ، فقال النبي ﷺ ـ موجهًا أصحابه جميعًا لتقديم العون لأخيهم ـ : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه بشيء فليفعل** » ، وفي رواية « **فلينفعه** » (٣) .

ويفهم من هذا الحديث الذي يروي واقعة يأمر فيها النبي ﷺ بتقديم النفع أنه ينبغي ألا يتأخر من يستطيع نفع أخيه المريض بمداواته وإسعافه ورَقْيه والدعاء له بالشفاء ، ويدخل في هذا نفع الناس ببناء المستشفيات لهم وتوفير الدواء ، بل وما أعظم هذا الفعل ، فكم من مريض لا يجد الدواء ، فيا رجال الأعمال وأرباب الأموال ، اقتطعوا جزءً من أموالكم ، خففوا به عن مريض ألمه ، ولو أن تُخرجوا زكاة أموالكم كما أفتاكم بذلك بعض العلماء لما يئسوا أن تتطوعوا !!! .

وعندما نتحدث عن نفع الناس وإعانتهم في أمراضهم ، فإن الأمر يوجَّه بصورة أخص إلى الأطباء المسلمين أن يجتهدوا ويحصلوا الجديد في الطب ويكفونا مؤنة التطفل على موائد الطب الغربية،وأن يرفقوا بالناس فيما يحصلون منهم على أجور.

ويؤسفنا أن فئة من الأطباء اتخذوا هذا العمل تجارة ووسيلة لتحصيل المال فقط ، دون أن تكون عنده نظرة أخروية ، فربما يُؤتَى بمريض في حالة قصوى من

---

(١) البخاري برقم (٥٦٥٦) ك المرضى .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٤٨٠) وقال : رواه أبو داود والترمذي ، وحسنه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري .

(٣) هذا ليس لفظ الحديث ، بل معناه ، وهو في مسلم برقم (٢١٩٩) .

المرض ، ويمتنع الطبيب عن معالجته ومداواته إلا أن يدفع المريض المبلغ الذي يحدده الطبيب !! .

فيا أمة الإسلام : انظروا إلى ما تفشى في الأمة من أمراض فتاكة وأدواء عضال ، وانظروا يا أهل الصحة والعافية إلى أهل المرض والبلاء ، وليتخيل كل منَّا نفسه لو كان مبتلى في صحته بالمرض ـ والعياذ بالله ـ كم تكون حاجته إلى العون من إخوانه والتخفيف عنه ؟ .

وبعد هذا النظر المصاحب للفكر والتأمل : ليتفاعلْ من أراد الله به خيراً لنفع إخوانه في أمراضهم ، وليُعْرض من يُعْرض .

إذا رأيت المرضى ولم تَرِق لهم ، ولم يتحرك قلبك فاعلم أن هذا دليل حرمانك وقسوة قلبك ، أسأل الله لي ولك العافية والهداية .